أساليب القرآن في عرض الهداية ومجالاتها

إعداد

د. سليمان بن حمد الصقري

أستاذ مشارك بقسم القرآن وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه القرآن ليهتدي به الناس ﷺ من الظلمات إلى النور.

وبعد:

قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦].

"أي: ألهمنا، أو وفقنا، أو أرزقنا، أو أعطنا، ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ أي: بيّنا له الخير والشر..، ﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة... و﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ أي: وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً.." (١).

وهذا البحث المختصر عن (الهدى، والهداية) في القرآن الكريم وأساليب القرآن في الترغيب فيه أو التنفير من ضده، وبيان المجالات التي ذكرت فيها الهداية باختصار مع بيان أهمية الهداية وآثارها في الدنيا والآخرة.

وهذا الموضوع سبق أن بحث وتم تناوله من وجوهٍ متعددة، منها بحث (العناية بأحوال الهداية) لمحمود الجاسم، وبحث (آيات الهداية والاستقامة في كتاب الله) لعطية سالم، وكتاب (مدارج السالكين) ابن قيم الجوزية، وبحث (الهداية في القرآن الكريم) للعباس الحازمي، وبحث (الهداية وأسبابها) لسعيد بن مسفر القحطاني.

ولكل باحث منهجه في البحث، وفي بحثنا هذا قمنا بالاقتصار على بيان أساليب القرآن في عرضه لموضوع الهداية، ومجالاتها، وآثارها، مستفيداً ممن سبقني في بحثه لهذا الموضوع.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٨/١.

وكان من أبرز الأسباب لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

١- حاجتنا لهذه الدعوة (اهدنا) فوق كل ضرورة، لا يحصل الفلاح إلاَّ بها.

٢- الإرشاد والتوفيق لمعرفة كتاب الله، والاهتداء به، وبيان الأسباب التي من خلالها ينتفع المسلم بها.

٣- جمع الآيات التي تناولت هذا الموضوع في بحث مستقل ؛ ليسهل على المسلم معرفة الهداية والانتفاع بها.

وكانت خطتي كالتالي:

مقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، وبيان خطة البحث.

تمهيد: وفيه بيان معنى الهدي لغةً، واصطلاحاً.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: أسباب الهداية.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم.

المطلب الثاني: إتباع الرسول ﷺ وطاعته.

المطلب الثالث: الإيمان والإسلام.

المطلب الرابع: الجهاد والاقتداء بأهل الهدى.

المطلب الخامس: الاعتصام بالله والإنابة إليه.

المبحث الثاني: موانع الهداية.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الكفر والنفاق.

المطلب الثاني: إتباع الهوى.

المطلب الثالث: الفسق.

المطلب الرابع: الظلم.

المبحث الثالث: أساليب القرآن في الحث على الهداية.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الأمر بها، وإضافتها إلى الله سبحانه.

المطلب الثاني : الثناء على المهتدين وبيان علو منزلتها.

المبحث الرابع: أساليب القرآن في التنفير من ضدها.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: المقارنة بين المهتدي وضده.

المطلب الثاني : ذم من استبدل بها غيرها، ووصفه بالعمى.

المطلب الثالث: صفات المحرومين منها.

المبحث الخامس: مجالات الهداية في القرآن الكريم.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مجالاتها من خلال العقيدة.

المطلب الثاني : مجالاتها من خلال الشريعة والأخلاق.

المبحث السادس: آثار الاهتداء.

المطلب الأول: آثاره في الدنيا.

المطلب الثاني: آثاره في الآخرة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

التمهيد
بيان معنى الهدي لغةً، واصطلاحاً

الهدي لغـةً:

"هَدَى: الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان، أحدهما للتقدم للإرشاد، والآخر بعثه لطف" (١).

وقال الفراهيدي: "هديت لك أي: بينت لك، وبها نزلت ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾"(٢).

وقال ابن الأثير: "الهَدْيُ: السيرة، والهيئة، والطريقة" (٣).

وقال الراغب الأصفهاني: "الهداية دلالةٌ بلطف...، إن قيل كيف جعلت الهداية دلالةً بلطف، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ - ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ قيل ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم مبالغة في المعنى... والهُدَى والهداية في موضع اللغة واحد، لكن قد خصَّ الله عزَّ وجل لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه، واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ " (٤).

"وقد يختلف المعنى اللغوي (لهدى) بحسب التعدية، فهي إذا عديت بنفسها: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦] فإنها تتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا...، وتتضمن معنى الإرشاد والدلالة إذا تعدت بإلى.

قال تعالى: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ ﴾ [الصافات: ٢٣].

وتتضمن معنى التوفيق إذا عديت باللام كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا ﴾ [الأعراف: ٤٣]" (٥).

وقال ابن جني: "الهدى مذكر وقد يؤنث" (٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢/٦.
(٢) العين ٧٨/٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث ٢٥٣/٥.
(٤) المفردات ص٥٣٨.
(٥) الصحاح للجوهري ٢٥٣٣/٦.
(٦) المذكر والمؤنث لابن جني ص٩٦.

"وقال ابن سيده: الهُدى ضدّ الضلال، وهو الرّشاد، والدلالة أنثى، وقد حكي فيها التذكير... وقال الكسائي: بعض بني أسد يؤنثه، يقول: هذه هُدىً مستقيمة" (١).

الهدى اصطلاحاً:

"تكرر ورود كلمة (هدى) وتصاريفها في القرآن الكريم كثيراً حتى بلغ ما يربو على ثلاثمائة وعشرين موضعاً، وهذا التكرار جعل لتلك الكلمة استعمالات متنوعة ؛ من تلك الوجوه" (٢):

١- البيان. قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بيّنا لهم...

٢- الإسلام. ومنه قوله: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧]، أي: الإسلام.

٣- الإيمان. ومنه قوله: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، أي: إيماناً " (٣).

٤- "الدعاء. ومنه قوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧]...

٥- المعرفة. ومنه قوله: ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، أي: يعرفون"(٤).

٦- "القرآن. ومنه قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣].

٧- الرسل والكتب. ومنه قوله: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، أي: رسلي.

٨- التوراة. ومنه قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [غافر: ٥٣].

٩- الإصلاح. ومنه قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢]، أي: لا يصلح.

١٠- التوبة. ومنه قوله: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: ثبتنا" (٥).

١١- "الدليل. ومنه قوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ١٠].

---

(١) لسان العرب ١٥/٣٥٤.
(٢) الهداية في القرآن الكريم ص٣٩.
(٣) المصدر السابق، وانظر: الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص٨٩.
(٤) المصدر السابق، وانظر: إصلاح الوجوه للدامغاني ص٤٧٤.
(٥) المصدر السابق، وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٠٣.

١٢- التعليم. ومنه قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

١٣- الفضل. ومنه قوله: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١] أي: أفضل.

١٤- الصواب. ومنه قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾﴾ [العلق: ١١].

١٥- الثبات. ومنه قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، أي: ثبتنا عليه" [(١)].

وهذه الأوجه التي ذكرنا بعضها، ولم تستوعب كلها اختصاراً للبحث، وبياناً أنها من قبيل المترادفات، وأنها تدل على معنى الدلالة والإرشاد.

كما ذهب الزمخشري في تفسيره "إلى أن الهدى هو الدلالة الموصلة إلى البغية" [(٢)].

وقال الطبري: "الإيصال إلى الجنة يسمى هداية. كما في قوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣]" [(٣)].

وقال الرازي وغيره: "هي الدلالة على طريق الوصول سواء حصل الوصول أم لا..." [(٤)].

والهدى يستعمل في القرآن الكريم استعمالين:

الأول: عام وهو "الإرشاد وإيضاح سبيل الحق، وإبانة الطريق سواء سلكها المبين له أم لا" [(٥)].

أو ما عُبر عنه بالدلالة على ما يوصل إلى المطلوب [(٦)].

---

(١) الهداية في القرآن ص٤٣، وانظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٢/٢٢٢ – ٢٢٦.
(٢) الكشاف ١/٢٠.
(٣) جامع البيان للطبري ٥/٤٩٣.
(٤) التفسير الكبير ٢/٢٠.
(٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص٧.
(٦) انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٥٦.

الثاني: خاص. وهو تفضل الله بالتوفيق على العبد أو خلق الله الاهتداء في قلب العبد. ومنه قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٠] [(١)].

قال ابن تيمية: "وكذلك لفظ (الهدى) إذا أطلق تناول العلم الذي بعث به رسوله والعمل به جميعاً... ثم قد يقرن الهدى إمَّا بالاجتباء كما في قوله: ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾، وكما في قوله: ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾... وإذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا"[(٢)].

قال ابن كثير: "والهداية هاهنا الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها... فتضمن معنى ألهمنا، أو وفقنا، أو ارزقنا، أو أعطنا... وقد تعدى بإلى... وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة... وقد تعدى باللام... أي وفقنا..." [(٣)].

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب ص٨، والهداية في القرآن ص٥٣.
(٢) مجموع الفتاوى ١٦٦/٧.
(٣) تفسير ابن كثير ٢٧/١.

المبحث الأول
أسباب الهداية

وفيه مطالب:

المطلب الأول
القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت: ٤٤].

امتنَّ سبحانه على هذه الأمة، وفضَّلها بتنزيل القرآن الكريم على نبيها محمد ﷺ، وجعل هدايتها في هذا الكتاب الكريم، متى ما عملت به والتزمت بتعاليمه، وآيات الهداية المذكورة في القرآن، اشتملت على ذكر السبل المؤدية إلى الهداية والموصلة إليها، ومن أكثر هذه الأسباب والسبل ذكراً القرآن الكريم، وفي أكثر من ثلاثين موضعاً من آيات الهداية، وهداية القرآن هي هداية دلالة وبيان لعامة الناس، وإنما اختص طائفة بالذكر في بعض الآيات كما في قوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، وفي قوله: ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧] وغيرهما من الآيات ؛ لبيان أنَّ هؤلاء أولى الناس بالانتفاع به والاهتداء بهذا الكتاب لما في نفوسهم من اليقين، وفي قلوبهم من التصديق [(١)].

وجمع القرآن بين انتفاع بعض الناس بالقرآن، وعدم انتفاع بعضهم به في آية واحدة.

(١) انظر: الهداية في القرآن ص٥٧، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ١٠٧/١.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥].

والمنتفعون بالقرآن هم:

أولاً: المتقون:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦].

قال سيد قطب: "وجعل الله فيه هدىً ونوراً، وهدى وموعظة، ولكن لمن ؟ للمتقين. فالمتقون هم الذين يجدون في كتب الله الهدى، والنور، والموعظة... وإن الهدى موجود، ولكن لا تدركه إلاَّ الروح المستشرفة..."(١)

وتخصيص المتقين في الآيتين، "فيه دلالة على أن المتقين هم المنتفعون بالقرآن، فكانت الهداية في حق غيرهم كالمعدومة..." (٢).

"كيف يكون القرآن هدى للمتقين وهم مهتدون أصلاً ؟.

يجاب عن ذلك: بأنه ليس من شرط هذا المتقي أن يكون كان من المتقين المؤمنين قبل سماع القرآن،... إذ لا يكون مؤمناً متقياً من لم يسمع شيئاً من القرآن... الثاني: أن يبين أن المهتدين بهذا هم المؤمنون المتقون، ويستدل بعدم الاهتداء به على عدم الإيمان والتقوى..." (٣).

(١) في ظلال القرآن ٢/٩٠٠.
(٢) انظر: تفسير الرازي ٩/١٢.
(٣) مجموع الفتاوى ١٦/١٥.

ثانياً: المؤمنون:

قال تعالى: ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧]، [النمل:٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]

وقال تعالى: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، [يوسف: ١١١].

المؤمنون هم أولى الناس بإتباع كتاب الله، والاهتداء بهديه.

قال الطبري: "قال قتادة: لأن المؤمن إذا سمع القرآن حفظه، ورعاه، وانتفع به واطمأن إليه، وصدّق بموعود الله... وكان على يقين من ذلك..." (١).

قال الرازي: "فإن قيل: ولم خص كونه هدى وبشرى بالمؤمن مع أنه كذلك بالنسبة إلى الكل ؟، الجواب: من وجهين:

الأول: أنه تعالى إنما خصّهم بذلك ؛ لأنهم هم الذين اهتدوا بالكتاب فهو كقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾.

والثاني: أنه لا يكون بشرى إلاَّ للمؤمنين... وهذا لا يحصل إلاَّ في حق المؤمنين فلهذا خصهم الله به" (٢).

فالمؤمنون المهتدون بالقرآن، هم الذين يستمعون للقرآن وينصتون له، وهم أصحاب الذكر لله، والتضرع، والخيفة منه سبحانه، ولا يكونوا من أصحاب الغفلة، ولا يستكبرون عن عبادته، ويسبحونه، وله يسجدون كما في آية [الأعراف: ٢٠٣ – ٢٠٦].

ثالثاً: المسلمون:

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩ ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢ ﴾ [النحل: ١٠٢].

(١) تفسير الطبري ١/٤٨٤.
(٢) تفسير الرازي ٣/١٩٧.

والمسلمون لفظة عامة يدخل فيها أصناف كثيرة من الناس، ممن لم يرتق إلى مرتبتي الإيمان والتقوى.

رابعاً: المحسنون:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ [لقمان: ٢ – ٥].

فالمحسنون: هم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا الكتاب الكريم... والمحسنون ممدوحون في كتاب الله بقسميهم.

فمن الأول: وهو الإنعام على الغير قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومن الثاني: وهو الإحسان في الفعل قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٣ ﴾ [المائدة: ٩٣]. فهم مستحقون للهداية بكتاب الله.

خامساً: الموقنون:

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠ ﴾ [الجاثية: ٢٠].

وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤ ﴾ [السجدة: ٢٤].

فاستحق أصحاب اليقين الهداية بكتاب الله ؛ لأنهم يعدّون مع أهل الإمامة في الدين الذين يُهتدى على أيديهم، وكما أن الموقن يهتدي بآيات الله المتلوة، فإنه كذلك يهتدي بآيات الله الكونية المشاهدة.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وقال: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ ﴾ [الذاريات: ٢٠].

سادساً: أهل الخشية:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣ ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال ابن كثير: "أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف، والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار"(١).

سابعاً: أولو الألباب:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص: ٢٩].

وأولو الألباب: هم أولو العقول الخالصة من الشوائب.. وقيل: هو ما زكى من العقل (٢).

وهم من المؤمنين أهل تذكر وتدبر لآيات الله الكونية والشرعيَّة، ويهتدون بها.

(١) تفسيره ٤/٥١.
(٢) انظر: المفردات ص٤٤٦.

فهذه هي الصفات التي ذكرها القرآن، وخصّ أهلها بالاهتداء به، والانتفاع بكتاب الله.

المطلب الثاني
إتباع الرسول ﷺ وطاعته

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦ – ١٥٨].

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

فطاعة النبي ﷺ وأتباعه سببٌ من أسباب الهداية، كما هو مذكور في الآيتين، وتلك الهداية المترتبة على الإتباع والطاعة يتعدى إلى التوفيق والإلهام، الذي يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده.

وذلك الإتباع الذي رتبت عليه الهداية، يشمل المتابعة في القول والفعل مقروناً بشرط آخر ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ففي إتباع الرسول ﷺ هدايات، منها:

دلالة، وبيان، وإرشاد من جراء حديثه، وتذكيره، ووعظه، وتوفيق وإلهام من الله جزاءً وفاقاً لمن عصى هواه واتبع رسوله ﷺ، واستحقاق للجنة والنعيم.

وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥] إذ هذه الآية عند بعض المفسرين مستأنفة لتقرير قوله: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ ﴾ [٥٤]، وتأكيد ما فيه من الوعد الكريم، وإعرابٌ عنه بطريق التصريح، وبيان لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي من آثارها الاهتداء...[1].

المطلب الثالث
الإيمان والإسلام

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس: ٩].

وقال: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

الإيمان والإسلام من أهم أسباب الهداية، فالاهتداء حاصل لمن أسلم وآمن من الكفار والمشركين وأهل الكتاب، ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾، بل هو حاصل لمن كان مؤمناً أصلاً وذلك بزيادة الاهتداء ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾.

(١) انظر: التفسير الكبير ٢٣/٢٤، وإرشاد العقل السليم ١٩٠/٦، والهداية ص١٢٢.

وآية البقرة خُوطب بها اليهود والنصارى، عندما زعموا أن الهداية إنما هي في اليهودية والنصرانية ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ ﴾ يعني: دخلوا في دين الله، وتمسّكوا به، ﴿ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ أي: التزموا النزول إلى التحقيق بمعنى أسلمت وجهي لله فقد اهتدوا، أي: تمسّكوا بالإسلام والإيمان، وهذا بعد اهتداء، أو أصابوا الرشد ولزموا طريق الحق.

المطلب الرابع
الجهاد والاقتداء بأهل الهدى

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٤ – ٦].

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس: ٢١].

فالجهاد، والمجاهدة، والاقتداء بأهل الهدى والتقى من أسباب الهداية.

قال ابن عطية في الآية الأولى: "فهي قبل الجهاد العرقي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته... وقال: يقول أبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في هذه الآية قتال العدو فقط، بل هو نصر الدين والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وعظمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر" [(١)].

ويدخل في الجهاد طلب العلم، ويشتمل على الطاعات والعبادات، والصبر على الفتن، وكيد الأعداء، وجهاد النفس، والهوى، والشيطان ؛ لأن من جاهد هذه

(١) المحرر الوجيز ١٢/٢٤٠.

في الله هداه الله سبل رضاه، ورحمته، وجنته، وهذه الهدايات المترتبة على تلك الأنواع من المجاهدات هي بحسبها، فمن الطاعات ما هدايته الزيادة فيه، ومنها ما هدايته السكينة والطمأنينة، ومنها الثواب، ومنها ما يفتح عليه ويهديه سبل تحصيل العلم، وتوفيقه للعمل الصالح، وهداية أهل الجهاد بنيلهم إحدى الحسنيين إمَّا النصر، وإمَّا الشهادة، ودخول الجنة. ففي آية العنكبوت، وعدٌ من الله عزَّ وجل، بل قسم، على هداية المجاهدين في سبيل الله.

بل القدوة الحسنة مما حث سبحانه عليها، وأمر نبيه محمداً ﷺ والأمة من بعده بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

والقرآن يؤكد ذلك بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

وهذه الآية جاءت عقب ما ذكر الله عدداً من الرسل والأنبياء مبيناً هدايته لهم، فجاءت الآية آمرة للنبي ﷺ بالاقتداء بهم في هداهم.

المطلب الخامس
الاعتصام بالله والإنابة إليه

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥﴾ [النساء: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧﴾ [الرعد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

الاعتصام هو: "الاستمساك بالشيء، والعصم الإمساك" (١).

والاعتصام نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بحبل الله.

والاعتصام بالله سبب للهداية جاء بنص كتاب الله. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

والاعتصام بحبله يعصم من الضلالة، ومن الهلكة، وفي الآية: تأكيد على ترتب الهداية على الاعتصام.

وقد تكرر في القرآن الكريم اعتبار الإنابة سبباً من أسباب الهداية. والإنابة المعتبرة سبباً من أسباب الهداية هي: كثرة الرجوع إلى الله بالتوبة بعد الذنوب والغفلة" (٢).

وليس كل أهل الإنابة من مستحقي الهداية ؛ لأن الإنابة إنابتان ؛ إنابة لربوبية الله "وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر... والإنابة الثانية هي إنابة أوليائه وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة..." (٣).

وهي الإنابة المستحق أهلها الهداية.

(١) المفردات ص٣٣٧.
(٢) انظر: المفردات ص٥٠٨.
(٣) مدارج السالكين ١/٤٣٤.

المبحث الثاني
موانع الهداية

وفيه مطالب:

المطلب الأول
الكفر والنفاق

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٢- وقال تعالى: ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

٣- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ ﴾ [النساء: ١٦٧ – ١٦٨].

٤- وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة: ٦٧].

٥- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧ ﴾ [التوبة: ٣٧]

٦- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ ﴾ [النحل: ١٠٣ – ١٠٤].

٧- وقال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦ – ١٠٧].

٨- وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣].

هذه الآيات تقرر نفي الهداية عن الكافرين، والمراد بالهداية المنفية عنهم هي: هداية التوفيق والإلهام، وهداية إصابة الرأي، وسلامة الفهم، وتسديد الأعمال وإلى الأعمال الصالحة، ودخول الجنة.

أمَّا هداية الدلالة والإرشاد فقد هدوا إليها، وأرشدوا لها.

وقد تكرر في القرآن اعتبار الكفر مانعاً من موانع الهداية كما هو معنا في الآيات المذكورة في أول المطلب، سواء كان هذا الكفر بمعنى جحود النعمة وعدم شكرها، أو جحود الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة. فكل من اتصف بالكفر في شيء من أحواله، حجب عنه قدر من الهداية بحسب كفره.

يقول سيد قطب عند آية سورة التوبة: "لأنهم ستروا قلوبهم عن الهدى، وستروا دلائل الهدى عن قلوبهم، فاستحقوا بذلك أن يتركهم لما هم فيه من ظلام وضلال"(١).

النفاق:

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

(١) في ظلال القرآن ٣/١٦٥٤.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١].

إذاً فالمنافقون هم من المحرومين من الهداية، كلياً إن كان نفاقهم اعتقادياً، وإمَّا جزئياً إن كان نفاقهم عملياً، فالله سبحانه وضع موانع على الكافر والمنافق ؛ لكي لا يصل إليه الإيمان، مثل: الأكنة، الوقر، الحجاب، الطبع والختم، والمرض، والصمم، والعمى، والبكم.

انظر الآيات: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥ – ٤٦].

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت: ٥].

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد: ١٦].

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧].

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠]، ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨].

المطلب الثاني
إتباع الهوى

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه: ١٦]

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٦ – ١٧].

وقال ﷺ: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلاَّ ما أُشرب من هواه)[1].

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ٢/٢٢٦.

أتباع الهوى مانعاً من موانع الهداية، والآيات التي ذكرناها في مقدمة الطلب تبين لنا أن الهوى المذموم في القرآن هو هوى الكفار، وهوى النفس، وهوى الغير، والهوى عموماً.

قال سيد قطب: "فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلاّ من قِبَل الهوى، فالجهل سهلٌ علاجه، ولكنَّ الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها" (١).

وقال ابن عاشور: "فالنهي يعمّ كل ما هو هوى، سواء كان هوى المخاطب أو هوى غيره، مثل هوى الزوجة، وولده، وسيده، وصديقه، أو هوى الجمهور ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨] ومعنى الهوى: المحبة، وأطلق على الشيء المحبوب مبالغة... والهوى: كناية عن الباطل، والجور، والظلم لما هو متعارف من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النفس... والنهي عن إتباع الهوى تحذير له،... وإتباع الهوى قد يكون اختياراً، وقد يكون كرهاً. والنهي عن إتباعه يقتضي النهي عن جميع أنواعه... "(٢).

وهذا الحرمان من الهداية بحسب الهوى، فإذا كان في أصل التوحيد، والإيمان، كان الحرمان أعظم وهو الهداية إلى الإسلام ومن ثم إلى الجنة.

المطلب الثالث

الفسق

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٨١٩.
(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٢٤٤.

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦ – ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥، ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المنافقون: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف: ٥].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يونس: ٣٣].

الفسق هو الخروج حدود الإيمان، وعن الحق، وهو أعم من الكفر ويطلق على كثير الذنب وقليله، ولكنه تعورف في الكثير أكثر [(١)].

وقال الراغب: "وأكثر ما يقال الفاسق: لمن التزم حكم الشرع وأقرَّ به ثمّ أخلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه،... فالفاسق أعمّ من الكافر والظالم أعمّ من الفاسق"[(٢)].

فالفسق من موانع الهداية كما هو مذكور في القرآن الكريم، وذكرنا بعضاً من الآيات التي ورد ذكره كمانع من موانع الهداية.

قال الطبري: "أن الله تعالى ذكره عم الخبر بأنه لا يهدي جميع الفساق، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض بخبر ولا عقل، فذلك يدل على معاني الفلسق كلها..."[(٣)].

(١) انظر: لسان العرب ٣٠٨/١٠.
(٢) المفردات ص٣٨٠.
(٣) تفسيره "جامع البيان" ١٢٤/٥.

وقال ابن عاشور: "مسوق لبيان أن للفسق تأثيراً في زيادة الضلال ؛ لأن الفسق يرين على القلوب، ويكسب النفوس ظلمة فتتساقط في الضلال المرة بعد الأخرى... أنه ضلال متمكن من نفوسهم حتى صار كالجبلة فيهم، فهم ميئوس من اهتدائهم، كما قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾"[1].

المطلب الرابع
الظلم

قال تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الصف: ٧].

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

(١) التحرير والتنوير ١/٣٦٦.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ [النساء: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الروم: ٢٩].

الظلم مانع من موانع الهداية ورد في عدة مواضع من سور القرآن، كما هو معنا أعلاه، وورد ذلك في السور المكية والمدنية، والأسباب التي من أجلها حرموا الهداية.

والظلم: "عند أهل اللغة وكثيرٍ من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إمَّا بنقصان أو بزيادة.. قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثةٌ: الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله، وأعظمه الكفر، والشرك، والنفاق... الثاني: ظلمٌ بينه وبين الناس... والثالث: ظلمٌ بينه وبين نفسه..." (١).

والآيات التي معنا تحدثت عن الظلم وأنواعه، مثل:

١- وضع الكفر موضع الإيمان، كما في آية آل عمران: ٨٦.

٢- وضع الكفر بالنبي ﷺ موضع الإيمان به والتصديق، كما في آية النساء: ١٦٨.

٣- وضع الضلال والنفاق موضع التقوى، كما في آية التوبة: ١٠٩.

٤- وضع موالاة الكافر موضع مولاة المؤمن، كما في آية المائدة: ٥١.

٥- وضع الافتراء موضع إجابة داعي الإسلام، كما في آية الصف: ٧.

٦- وضع الإتباع بغير هدى، كما في آية القصص: ٥٠.

٧- وضع التكذيب موضع التصديق، كما في آية الجمعة: ٥.

٨- وضع أعمال المؤمنين مساوية لأعمال الكفار، كما في آية التوبة: ١٩.

ولهذا كان من الجزاء المناسب لجنس عملهم أن لا توضع الهداية عندهم ؛ لأنهم دأبوا على وضع الأشياء في غير موضعها (٢).

(١) الراغب في المفردات ص٣١٥.

(٢) انظر: الهداية في القرآن ص١٥٢ بتصرف.

المبحث الثالث
أساليب القرآن في الحث على الهداية

وفيه مطلبين:

المطلب الأول
الأمر بها وإضافتها إلى الله سبحانه

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣].وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦].

قال ابن كثير عند قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠]: "وإذا كان هذا أمر للرسول ﷺ فأمته تبع له..." [(١)].

وهذه الآية وغيرها من الآيات التي تبين لنا أساليب القرآن الكريم في عرض الهداية والأمر بالاهتداء، وتزداد أهمية ذلك، أن الآمر بذلك هو الله سبحانه، وأن المأمور بذلك الاهتداء والاقتداء بهدى أولئك الأنبياء –عليهم السلام–، ولا تقتد بهدى غيرهم، وتمثل النبي ﷺ أمر ربه، فجمع كل هدى اتصف به الأنبياء، وفي هذا الأمر دلالة على رفعة منزلة النبي ﷺ.

ولم يقتصر القرآن بالأمر بالهداية على الآمر بالاقتداء بهدى الأنبياء، بل تنوّع أسلوب الحث حسب ما للهداية من شمول، من الآمر بالأسباب الموصلة إليها مثل الأمر بالإسلام ﴿ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤]، والإتباع للنبي ﷺ كقوله: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها.

ومن الأساليب الحاثة على الترغيب بالهداية، إضافتها منسوبة إلى اسمين من أسماء الله وهما "الله"، و"الرب"، فالله هو مالك الهداية ومانحها. وبهذا يتضح لنا ما في نسبة الهداية إلى اسمه من الترغيب في الهداية، ولبيان سبب الهداية، وأنها بيده سبحانه، وهو المتفضل بها، فمن أرادها فليسأل الله.

قال ابن عاشور عند قوله: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ٨٨]: "وقد زاد اسمُ الإشارة اهتماماً بشأن الهدى، إذ جعل كالشيء المشاهد... وأخبر عن الهدى بأنه هدى الله ؛ لتشريف أمره، وبيان عصمته من الخطأ والضلال" [(٢)].

(١) تفسيره ١/١٥٥.
(٢) التحرير والتنوير ٧/٣٥١.

المطلب الثاني
الثناء على المهتدين، وبيان علو منزلتها

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ [البقرة: ٢-٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ١٧ -١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦ ﴾ [مريم: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ ﴾ [الكهف: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢ ﴾ [طه: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

هذه الآيات فيها من الحث والترغيب في الهداية من خلال أسلوب الثناء على من اهتدى، وبيان علو منزلتها. قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ حث عليها، ورفع من درجة من اهتدي. ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ وصف بها المتقي المتصف بالأوصاف العظيمة. وفي قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ دلالة مدح وثناء.

قال أبو السعود: "إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها، وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز... وما فيه من معنى البعد للأشعار بعلو درجتهم، وبعد منزلتهم في الفضل" (١).

ولم يقف مدح أهل الاهتداء، والثناء عليهم عند هذا الحد بل تنوّعت أساليب القرآن الكريم في إبراز محاسنهم، ليُسلك طريقهم، وإظهار ثوابهم، ليقتفى أثرهم، ومن ذلك بيان عاقبة أهل الاهتداء الحسنة ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ووعدهم بزيادة الهدى ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦]، ووعدهم بالصلوات والرحمة ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٧] (٢).

ومن خلال الحديث عن زيادة هدى المهتدين، نرى أنها قد تسامت مراتبهم كأهل الكهف ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣]، رواد المراتب العالية الذين استحقوا أن يوصفوا بها.

ومن تلك المراتب العالية التي حث الله عباده على الارتقاء إليها وبيَّن علوها لعباده حفزاً لأصحاب الهمم العالية ؛ الهداية. قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢].

قال البقاعي: "ولما كانت رتبة الاستمرار على الاستقامة في غاية العلو عبر عنها بأداة التراخي فقال: ﴿ ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٣).

وقال الألوسي: "للدلالة على بعد ما بين المرتبتين، فإن المداومة أعلى وأعظم من الشروع" (٤).

---

(١) تفسيره "إرشاد العقل السليم" ١/٥٨.
(٢) انظر: الهداية ص١٧٨.
(٣) نظم الدرر ١٢/٣٢٠.
(٤) روح المعاني ١٦/٣٥٢.

المبحث الرابع
أساليب القرآن في التنفير من ضدها

وفيه مطالب:

المطلب الأول
المقارنة بين المهتدي وضده

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ﴾ [الإسراء: ٩٧، ١٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥ ﴾ [القصص: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾ [الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧ ﴾ [الأنعام: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧ ﴾ [القلم: ٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك: ٢٢].

هذه الآيات التي ذكرناها هي بعض مما ذكره الله لنا في القرآن، من ذكر الشيء وضده، أو المقارنة بين المؤمن والكافر، أو الجنة والنار.

وهذا الأسلوب له الأثر الكبير في تجلية الأمر المرغب فيه، أو المحذر منه، ومن هنا كان للتنفير من الضلالة وأهلها نصيب من هذا الأسلوب.

وفي ختام آية [البقرة: ٢٦]، تنفير من سلوك سبيل أولئك الضُّلال بتعبير بلفظ ﴿كَثِيرًا﴾ مع المهتدين ومع الضالين.

وختام آية [الأعراف: ١٧٨] قال ابن عاشور: "زيد في جانب الخاسرين الفصل باسم الإشارة لزيادة الاهتمام بتمييزهم بعنوان الخسران تحذيراً منه" (١)، وهذا فيه تحذير وتنفير من الضلال.

ويقول أبو السعود عند آية [النحل: ١٢٥]، وآية [القصص: ٨٥]: "وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث ؛ لما أنه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها، وإعراض عن الدعوة، وذلك أمرٌ عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة... ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات" (٢).

ومن أساليب التنفير من الضلال، تقديم أهل الضلال في الذكر أو تأخيرهم كما في آية [الأنعام: ١١٧]، وآية [الكهف: ١٧] في التقديم من باب تقديم الوعيد على الوعد، وفي التأخير من باب الإهمال والإغفال لهم لانقطاع أثرهم وخمول ذكرهم(٣).

(١) التحرير والتنوير ١٨١/٩.
(٢) تفسيره ١٥١/٦.
(٣) انظر: الهداية ص٢١٦.

وانظر إلى المقارنة الحقيقية في حال الفريقين في الدنيا وفي الآخرة في قوله: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك: ٢٢]، تلك الصور والنماذج التي ذكرناها من خلال بعض الآيات للمقارنة بين المهتدي وغيره، لكي يكون لدى المسلم قناعة في سوء عاقبة الضالين مما يورث في قلبه الاشمئزاز فيرتبط بطريق الهدى والمهتدين.

المطلب الثاني
ذم من استبدل بها غيرها، ووصفه بالعمى

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٦، ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الروم: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

ومن الأسباب التي سلكها القرآن الكريم للتنفير من الضلالة ذم من استبدل الهدى بالضلال.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ وهم المنافقون، وفي الآية الثانية من سورة [البقرة: ١٧٥] هم اليهود الذين كانوا يزعمون أنه سيظهر نبي وأنه سيتبعونه، فلما قدم المدينة أنكر اليهود نبوته. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨٩].

ومن أبرز جوانب ذم المعرضين عن الهداية المستبدلين بها غيرها في الآيات السابقة أن القدوة لهم في ذلك هم اليهود والمنافقون، وهذا بحد ذاته منفر للمرء عن تلك الصفة؛ لأنهم عرفوا الهدى ثم نكصوا عنه.

ومن تلك الأساليب وصف من ترك الهداية وأعرض عنها بالعمى بالرغم من نعمة البصر لهم.

قال ابن السعود: "وإنما عبّر عنه بالعمى تقبيحاً له وتنفيراً منه... فعمها عليها" [(١)].

ففي الآيات السابقة شُبّه الضُّلال بالعمي، حيث فقدوا المقصود الحقيقي من الإبصار وهو الاعتبار والتذكر ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾

ووصف هؤلاء بالعمى ليس مقتصراً على الدنيا فقط، بل هو شامل للآخرة أيضاً قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

المطلب الثالث

صفات المحرومين منها

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ

(١) تفسيره ٣/١٧٠.

بِهَٰذَآ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الصف: ٧، ٥].

وقال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦ – ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ [الحج: ٣ – ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٤]، [١٠٧-١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [محمد: ٥].

وفي هذا المطلب بيان للصفات التي وردت في سياق الآية التي ذكر فيها حرمانهم من الهداية، بسبب تلك الأوصاف التي لازمتهم، فيحذر المؤمن من الضلال ؛ لبشاعة تلك الصفات، ومخالفتها للفطرة السليمة.

فمن صفاتهم: الكذب. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣].

ومنها افتراء الكذب على الله كما في قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وآية ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الصف: ٧]، وهذا فيه بيان سوء هذه الصفة وسوء عاقبتها.

ومن صفاتهم: نقض العهود والميثاق، آية: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ

﴿ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦ – ٢٧]

ومن صفاتهم: حب الدنيا وتفضيلها على الآخر. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل: ١٠٧].

ومن صفاتهم الذميمة الغفلة آية: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النحل: ١٠٨].

ومما سبق بيانه أن تلك الصفات التي ذمها الله سبحانه، هي صفات متفرعة من صفات أكبر، منها: الكفر، والفسق، والظلم، وهي صفات منفرة من الضلال.

ومن صفاتهم الذميمة: تزين الشيطان، قال تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ [الحج: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٤].

ومنها: تسويله للإنسان. قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٥].

وهذه جملة من الآيات ذكرناها في موضع أساليب التنفير من الضلالة ؛ لإتباع الهداية، والابتعاد عن إتباع الشيطان وأعوانه.

المبحث الخامس
مجالات الهداية في القرآن الكريم

وفيه مطالب:

المطلب الأول
مجالاتها من خلال العقيدة

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النمل: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزخرف: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٥].

في هذا المطلب سنتناول المجالات للهداية من الجانب العقدي من خلال:

- الاستدلال على وجود الخالق، وألوهيته، وربوبيته بالخلق والهداية.
- نبذ الشرك والدخول في الإسلام.
- التوصل من خلال نِعم الله إلى دلالات الاهتداء.

- الدعوة إلى عبادة الله وحده.

ففي قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴾، وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٧].

قال سيد قطب: "فهو سبحانه الحقيق بالعبادة، بحكم أنه الموجد، وقرر يقينه بهداية ربه له، بحكم أنه هو الذي فطره، فقد فطره ليهديه وهو أعلم كيف يهديه"(١).

وقال ابن عاشور: "وتقديم المسند إليه على المسند في قوله ﴿ فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴾ دون أن يقول: (فيهدين) ؛ لتخصيصه سبحانه وتعالى بأنه هو متولي الهداية دون غيره"(٢).

وقال الألوسي: "وفي التعبير بقوله ﴿ فَطَرَنِى ﴾ وجعلها صلة الموصول تنبيه على أنه لا يستحق العبادة إلاَّ الخالق لذلك العابد" (٣).

ومن الاستدلال العقدي في مجال الهداية، نبذ الشرك، وبيان أن الانتقال من الكفر إلى الإسلام يسمى اهتداء ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] أي: يهديه للإيمان به وبرسوله، وما جاء به عند ربه فيوفقه له (٤).

وفي قوله: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنعام: ٧١] تنبيه من الله عزَّ وجل لنبيّه محمد ﷺ أن يحاج المشركين في تركهم عبادة من يملك النفع والضر، وعبادتهم من لا يملك من ذلك شيئاً.

لذلك سمّى انتقالهم الأول من الشرك إلى الإسلام اهتداء.

---

(١) من ظلال القرآن ٥/٣١٨٤.
(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٢٧٧.
(٣) روح المعاني ٢٥/١١٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري ٥/٣٣٥.

ومن المجالات ذكر نِعم الله على الإنسان من خلال ذكره لبعض الأنعام من الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، ومن خلال أيضاً الاهتداء بالنجوم، والنظر إلى الجبال، والأنهار، والسبل مما أوردنا من الآيات في هذا المطلب.

وأيضاً من المجالات للهداية في القرآن الكريم من خلال العقيدة الأمر بعبادة الله وحده.

ففي قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٥] أمرٌ من الله لنبيّه محمد ﷺ ولكل من يدعو إلى التوحيد والعبادة، أن يحاج المشركين بأنه ليس من شركائهم الذين يعبدون من دون الله من يهدي إلى الحق.

المطلب الثاني
مجالاتها من خلال الشريعة والأخلاق

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة: ١٥٦ – ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾ [التغابن: ١١].

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾ [يونس: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ ﴾ [الزمر: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ ﴾ [الحج: ٢٤].

إذا كانت الآيات المكية قد اهتمت بقضايا العقيدة، فإن كثيراً من الآيات المدنية كما هو مذكور أعلاه، تضمنت تفصيلات الأحكام الشرعيَّة متصلة بالهداية.

ففي ركن الصيام قال: ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالمراد بالهداية هنا أي: ما أرشد الله إليه عباده من الشرائع ويسّرها لهم عموماً، وكيفية الصيام.

وفي ركن الحج وأداء المناسك قال: ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ﴾ [البقرة: ١٩٨] تنبيهٌ على نعمته سبحانه على عباده بهدايتهم، وإرشادهم إلى مناسك الحج، وإرشادنا إلى كيفية التقرب ببهيمة الأنعام والانتفاع بها.

ويعبر القرآن الكريم عن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كشعيرة من شعائر الإسلام التي لها أهمية بالهدى، ويعد التمسّك بها مهتدياً كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، مع ارتباط الهدى بعدد من الأخلاق والآداب، ف ﴿ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ في سورة [البقرة: ١٥٦ – ١٥٧] وصف لأولئك الذين وفقوا للصبر عند المصيبة، فيرضى بقضاء الله وقدره، و ﴿ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١] باليقين بأن ما أصابه من عند الله. بل الهدى يشمل كل قول طيب، وقول جميل، قال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [الحج: ٢٤]، و ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ﴾ [فاطر: ٣٤]، و ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾ [يونس: ١٠].

المبحث السادس
آثار الهداية

وفيه مطلبين:

المطلب الأول
آثار الهداية في الدنيا

أولاً: الخشية:

قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات: ١٧ – ١٩].

وقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يس: ١١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [فاطر: ١٨].

قال الراغب: "الخشية خوفٌ يشوبه تعظيمٌ، وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يُخشى منه، ولذلك خُصَّ العلماء بها" (١).

الخشية أثر من آثار الهداية.

قال أبو السعود: "فالخشية لا تكون إلاَّ بعد معرفته تعالى... وجعل الخشية غاية للهداية ؛ لأنها ملاك الأمر، من خشي الله تعالى أتى منه كل خير..." (٢).

(١) المفردات ص١٤٩.
(٢) تفسيره ٩/٩٩.

وهدايته الدلالة والإرشاد هي التي تورث تلك الخشية بدليل نسبتها إلى موسى – عليه السلام – ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٩].

وفي الآية الثانية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، أي: "لعله ينظر نظر المتبصر فيعرف الحق، أو يخشى حلول العقاب به، فيطيع عن خشية لا عن تبصر" (١).

والخشية تورث الاهتداء بدليل آية: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٠]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس: ١١]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: ٢٦]، ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [عبس: ٨-١٠].

ثانياً: النجاة من الضلال:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٣٧].

النجاة من الضلالة في الدنيا مستلزم للنجاة من الشقاء في الدنيا كذلك. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

(١) التحرير ١٦/٢٢٦.

النجاة من الضلال أثر من آثار الهداية في الدنيا، وهذا الأثر وعد الله به آدم –عليه السلام– يوم أنزله إلى الأرض فقال: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣].

وأكد هذا الأثر إبراهيم –عليه السلام– حين حاج قومه، فقال لهم: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٧].

والهداية هي التي تعصم الإنسان من الوقوع في الضلال. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزمر: ٣٧].

"فالآية نفت مسمى الضلال والشقاء عن متبع الهدى مطلقاً فاقتضت الآية أنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى فيها..." (١).

ثالثاً: نفي الخوف والحزن:

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

قال الطبري: "فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله، غير خائفين عذابه، بما أطاعوا الله في الدنيا، واتبعوا أمره وهداه سبيله" (٢).

وقال ابن كثير: "أي: فيما يستقبلونه من أمر الآخرة" (٣).

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٨١.
(٢) تفسير الطبري ١/٢٨٥.
(٣) تفسيره ١/٨٢.

والوعد بعدم الخوف للمهتدي هو وعد بدخول الجنة... والخوف والحزن حاصلان لمن لم يدخلها [1].

ونفى سبحانه الحزن عن المؤمنين المهتدين في آياتٍ كثيرة، وكان ممن استحق ذلك هم المهتدون، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨] مرتباً نفي الخوف والحزن على الهدى.

والحزن المنفي هو الحزن على ما فات من الدنيا.

قال الرازي: "أن نفي الخوف والحزن في الدنيا ممتنع بما هو مشاهد من حصولهما للمؤمنين في الدنيا أكثر من غير المؤمنين" [2].

قال رسول الله ﷺ: (ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلاَّ كفر الله بها من خطاياه) [3].

قال ابن كثير عند قوله: ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]: "على ما فاتهم من أمور الدنيا" [4].

والحزن يكون على المكروه إن كان قد مضى، والخوف يكون من المكروه إن كان منتظراً [5].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، أي: لا يحزن المؤمن المهتدي من معادة الكفار أو المنافقين ؛ لأنك أنت المستعلى بإيمانك.

رابعاً: زيادة الهدى، وسبل السلام:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧].

---

(١) انظر: روح المعاني ٣٨٢/١.
(٢) تفسير الرازي ٢٨/٣.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض.
(٤) تفسيره ٨٢/١.
(٥) انظر: تفسير السعدي ٦١/١.

وقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ [مريم: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فزيادة الهدى أثر من آثار الهداية كما هو في الآيات المذكورة هنا.

فالهدى الأول المراد به أصل الإيمان، وأداء الفرائض كما هو في القرآن والسنة، وأمَّا الهدى الثاني الزائد فهو الثبات على الإيمان، وزيادته، وزيادة الأعمال الصالحة، والبصيرة في الدين، واليقين، وما يتجدد من الفرائض والأحكام [(١)].

وإيتاء التقوى كما في آية سورة محمد، فهو أثر آخر من آثار الاهتداء، والمراد به: التوفيق للعمل بما يُفضي بهم إلى التقوى، وبيان التقوى لهم بما يقتضي وصولهم إليها، وإعانتهم على سلوكها بتيسير أسبابها لهم [(٢)].

وسبل السلام التي وعدها الله للمهتدي هي طرق السلامة المنزّهة عن كل آفة، والآمنة من كل مخافة، والتي يسلم سالكها من العذاب في الدنيا، وهي موصلة إلى دار السلام في الآخرة [(٣)].

المطلب الثاني

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨٩/٨، ٣١٦/١١، والمحرر الوجيز ٦٣/١٥، وأضواء البيان ٢٨/٤.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٠٢/٢٦، والهداية ص٢٩٨.
(٣) انظر: تفسير القرطبي ١١٨/٦.

آثار الهداية في الآخرة

أولاً: النجاة مع المتقين:

قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر: ٥٧ – ٦١].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧٢].

بيّن سبحانه بأن النجاة يوم القيامة من ذلك الموقف الشديد، إنما هي للذين اتقوا والذين اهتدوا في الدنيا، فعملوا الصالحات ونجاة الله لهم شاملة من كل ما يدخل في مسمى السوء، وما يسبب الحزن، كما في قوله: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر: ٦١].

ثانياً: النجاة من الضلال والشقاء:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣].

قال ابن عباس في تفسيره لهذه الآية: "تكفل الله لمن قرآ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثُمَّ قرأ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ "[1].

فالله سبحانه وعد بالسلامة من الشقاء لمن اهتدى.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧١/١٣، والحاكم في مستدركه ٣٨١/٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال ابن قيم الجوزية: "والآية نفت مسمى الضلال والشقاء عن متبع الهدى مطلقاً فاقتضت الآية أنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى فيها، ولا يضل في الآخرة ولا يشقى فيها..." (١).

والنجاة من الضلالة في الدنيا يستلزم النجاة من الشقاء في الدنيا.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

والضلال في الدنيا يستلزم الشقاء في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٥].

ثالثاً: نفي الحزن، والأمن من الخوف:

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٩].

نفى سبحانه الحزن عن المهتدين في عددٍ من آيات القرآن الكريم، وسبق بيان ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث.

وقال الطبري: "فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله، غير خائفين عذابه..." (٢).

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٨١.
(٢) تفسيره ١/٢٨٥.

الخاتمة

تمّ بحمد الله هذا البحث المختصر عن الهداية والمهتدين.

وإليك بعض النتائج من هذا البحث:

أولاً: بيّن القرآن الكريم أهميّة الهداية في الدنيا والآخرة.

ثانياً: ذكر أسباب الهداية وموجباتها.

ثالثاً: دلالة كلمة الهداية في القرآن متعددة.

رابعاً: بيان أثر الهداية في الدنيا والآخرة، ترغيباً وتحذيراً.

خامساً: هناك موانع عن الهداية مثل: الكفر، والنفاق، والفسق، والظلم.

سادساً: القرآن الكريم من أهم أسباب الهداية وأعظمها.

سابعاً: الابتعاد عن أسباب الحرمان من الهداية كما بينها القرآن مثل: الطبع، والأكنة، والغشاوة، والوقر على الأسماع والأبصار.

والحمد لله أولاً وآخراً.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- إرشاد العقل السليم "تفسير أبو السعود"، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣- أسباب النزول، للواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح بالدمام، ط: الأولى، عام ١٤١١هـ.
٤- الأشباه والنظائر في القرآن، لمقاتل بن سليمان، تحقيق: د. عبدالله شحاته، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
٥- إصلاح الوجوه والنظائر "قاموس القرآن"، للدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز الأهل، دار العلم للملايين، ط: الخامسة، عام ١٩٨٥م.
٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
٧- إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق: محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
٨- أنوار التنزيل، للبيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ.
٩- آيات الهداية، عطية سالم، مكتبة دار التراث، المدينة، ط: الأولى، عام ١٤١٤هـ.
١٠- الهداية في القرآن، د. الحازمي، مطابع الحميضي، الرياض، ط: الأولى، عام ١٤٢٩هـ.
١١- البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق: عرفات حسونة، المكتبة التجارية، مكة.
١٢- بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٣- بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت، دار الباز، مكة.
١٤- تاج العروس، للزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط: الثالثة، عام ١٤١٤هـ.
١٥- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، عام ١٩٨٤م.
١٦- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تحقيق: محمد اليونسي، إبراهيم عطوة، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
١٧- التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ.
١٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٩- التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة.
٢٠- تلبيس إبليس، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: عصام الحرستاني، ومحمد الزغلي،

المكتب الإسلامي، ط: الأولى، عام ١٤١٤هـ.
٢١- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد خفاجي، محمود العقدة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، تحقيق: محمد النجار، عالم الكتب، بيروت، ط: الثانية، عام ١٤١٤هـ.
٢٣- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٢هـ.
٢٤- الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، أبو عيسى الترمذي، تحقيق: كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ.
٢٥- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق: محمد الرعود، دار الفرقان، ط: الأولى، ١٤١١هـ.
٢٦- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٧- الدر المنثور، للسيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٨- دفع إيهام الاضطراب، للشنقيطي.
٢٩- روح المعاني، للألوسي، تحقيق: محمد العرب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٣٠- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط: الثالثة، عام ١٤٠٤هـ.
٣١- زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب، وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة، عام ١٤٠٥هـ.
٣٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي، ط: الثانية، عام ١٣٩٩هـ.
٣٣- سنن أبي داود، تحقيق: عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط: الأولى عام ١٣٨٨هـ.
٣٤- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت.
٣٥- سنن الدارمي، تحقيق: فواز زمزلي، خالد العلمي، دار الريان، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٧هـ.
٣٦- السنن الكبرى، للبيهقي، دار المعرفة، بيروت.
٣٧- السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق: د. البنداري، سيد حسن، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١١هـ.
٣٨- شرح السنة، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الثانية، عام ١٤٠٣هـ.
٣٩- صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، المكتب الإسلامي، عام ١٤٠٧هـ.
٤٠- صحيح سنن الترمذي، للألباني، المكتب الإسلامي، عام ١٤٠٨هـ.
٤١- صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة، ط: الأولى، عام ١٤١٢هـ.
٤٢- الصحيح المسند من أسباب النزول، للوادعي، دار القدس، صنعاء، ط: الثانية، عام ١٤١٥هـ.
٤٣- ضعيف سنن ابن ماجه، للألباني، المكتب الإسلامي.
٤٤- ضعيف سنن الترمذي، للألباني، المكتب الإسلامي، عام ١٤١١هـ.
٤٥- طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط: الأولى، عام ١٤٠٩هـ.
٤٦- العناية بأحوال الهداية، محمود الجاسم، الدار السلفية، ط: الأولى، عام ١٤٠٧هـ.
٤٧- غريب الحديث، لأبي عبيد بن سلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ.
٤٨- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: ابن باز، ترقيم: محمد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١٠هـ.
٤٩- فتح القدير، للشوكاني، دار الفكر، بيروت، عام ١٤٠٣هـ.
٥٠- الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير عون، دار البيان، مكتبة المؤيد، ط: الأولى، عام ١٤٠٧هـ.
٥١- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط: الأولى، عام ١٤٠٢هـ.
٥٢- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، عام ١٤٠٧هـ.
٥٣- الكتاب المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق: مختار الندوي، الدار السلفية، ط: الأولى، عام ١٤٠١هـ.
٥٤- الكشاف، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
٥٥- لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: الرابعة، عام ١٤٠٣هـ.

٥٦- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
٥٧- مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٤هـ.
٥٨- مجموع فتاوى ابن تيمية، دار عالم الكتب، الرياض، عام ١٤١٢هـ.
٥٩- المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مكتبة ابن تيمية، عام ١٤١٣هـ.
٦٠- مختار الصحاح، للرازي، تحقيق: محمود خاطر، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٤١٤هـ.
٦١- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية، عام ١٣٩٣هـ، دار الفكر.
٦٢- مدارك التنزيل، للنسفي، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار القلم، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٨هـ.
٦٣- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت.
٦٤- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، ط: الثانية، عام ١٣٩٨هـ.
٦٥- معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: خالد العك، دار المعرفة، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤٠٦هـ.
٦٦- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى، عام ١٤١١هـ.
٦٧- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي عبدالحميد، دار ابن عفان، الخبر، ط: الأولى، عام ١٤١٦هـ.
٦٨- نظم الدرر، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط: الثانية، عام ١٤١٣هـ.
٦٩- النهاية، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، دار الباز، مكة المكرمة.
٧٠- الهداية وأسبابها، للقحطاني، دار الضياء.

*****

فهرس الموضوعـات

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٢١٩
تمهيد	٢٢٢
المبحث الأول: أسباب الهداية	٢٢٦
المطلب الأول: القرآن الكريم	٢٢٦
المطلب الثاني : إتباع الرسول ﷺ وطاعته	٢٣١
المطلب الثالث: الإيمان والإسلام	٢٣٢
المطلب الرابع: الجهاد والاقتداء بأهل الهدى	٢٣٣
المطلب الخامس: الاعتصام بالله والإنابة إليه	٢٣٤
المبحث الثاني: موانع الهداية	٢٣٦
المطلب الأول: الكفر والنفاق	٢٣٦
المطلب الثاني: إتباع الهوى	٢٣٩
المطلب الثالث: الفسق	٢٤٠
المطلب الرابع: الظلم	٢٤٢
المبحث الثالث: أساليب القرآن في الحث على الهداية	٢٤٤
المطلب الأول: الأمر بها وإضافتها إلى الله سبحانه	٢٤٤
المطلب الثاني : الثناء على المهتدين وبيان علو منزلتها	٢٤٦
المبحث الرابع: أساليب القرآن في التنفير من ضدها	٢٤٨
المطلب الأول: المقارنة بين المهتدي وضده	٢٤٨
المطلب الثاني : ذم من استبدل بها غيرها، ووصفه بالعمى	٢٥٠
المطلب الثالث: صفات المحرومين منها	٢٥١

المبحث الخامس: مجالات الهداية في القرآن الكريم	٢٥٤
المطلب الأول: مجالاتها من خلال العقيدة	٢٥٤
المطلب الثاني : مجالاتها من خلال الشريعة والأخلاق	٢٥٦
المبحث السادس: آثار الهداية	٢٥٩
المطلب الأول: آثار الهداية في الدنيا	٢٥٩
المطلب الثاني: آثار الهداية في الآخرة	٢٦٤
الخاتمة	٢٦٦
- قائمة المصادر والمراجع	٢٦٧
- فهرس الموضوعات	٢٧١

بحمد الله تعالى